موقف الزبير بن العوَّام من خلافة علي بن أَبي طالب

(رضي الله عنهما)

عدنان شعبان عبد *

تأريخ التقديم: 2019/9/8 تأريخ القبول: 2019/10/28

المستخلص:

يعد عصر صدر الاسلام والدولة الأموية من العصور المهمة في التاريخ العربي الاسلامي ، لما شهده من انجازات عسكرية وحضارية وأحداث وتطورات جمة انعكست على واقع الأمة ، وأدخلها في خلافات سياسية وصلت ذروتها في خلافة عثمان بن عفان (﵁) وامتدت لتشمل خلافة علي بن ابي طالب (﵁) ، والتي انغمس فيها عديد من الصحابة لعل منهم الزبير بن العوام (﵁) الذي كان له دوراً واضحاً في تلك الأحداث ، وقد جاء هذا البحث ليعطي لمحة عن دور الزبير في تلك الأحداث التي مرت بها الأمة ، وكانت البداية بإعطاء نبذة عن شخصية الزبير ومن ثَم انجرافه بالمشاكل التي واجهت الخليفة علي بن ابي طالب (﵁) ، ونعني بها معركة الجمل المشهورة والتي أودت بحياة الزبير بن العوام (﵁) .

الكلمات المفتاحية : خطاب ، قتال ، حروب

1 – أسمه ونسبه :

هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب (1) ، ينسب الى بني أسد بن عبد العزى احدى العشائر التي تكونت منها قبيلة قريش (1) ، وأمه

---

* مدرس/ قسم التاريخ/كلية الآداب/ جامعة الموصل .

(1) ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري : الطبقات الكبرى ، دار صادر ، (بيروت – 1957 م) ، ج 3/ 100 ؛ ابن خياط ، ابو عمرو خليفة : الطبقات ، تحقيق : سهيل زكار ، (دمشق – 1966 م) ، ق 1 / 30 .

صفية بنت عبد المطلب وهي من أسمته بالزبير نسبة الى أخيها الزبير بن عبد المطلب الذي عرف بشاعته ومكانته في قومه (2) .

2 – مولده ونشأته :

ولد الزبير في مكة، ولا يُعلم سنة ولادته على وجه التحديد (3)، عاش طفولته يتيماً في كنف أمه صفية بنت عبد المطلب ، وقد تكفل عمه نوفل بن خويلد بمعيشته (4).

3 – إسلامه :

أسلم الزبير في فترة مبكرة جداً من ظهور الاسلام ، فهو من المسلمين الأوائل الذين اعتنقوا الاسلام (5) ، وكان اسلامه على يد أبي بكر الصديق (ﷺ) ، اذ أدت مكانة ابي بكر الصديق (ﷺ) وشخصيته المؤثرة دوراً في اقناع الزبير سريعا في الاسلام (6) ، أسهم بشكل بارز وفعال في الغزوات التي قام بها الرسول (ﷺ) كافة ، وتأتي معركة بدر التي وقعت عام (2 هـ / 623 م) في طليعة تلك الغزوات (7) ، كما حظي الزبير

---

(1) ابن حبيب ، أبو جعفر محمد : المحبر ، تعليق : ايلزة لينختن شتبر ، (بيروت – د . ت) ، ص 18 .

(2) الزبيري ، أبو عبدالله مصعب بن عبدالله : نسب قريش ، تصحيح : ليفي بروفنسال ، ط 2 ، (مصر – 1976 م) ، ص 235 .

(3) أبو نعيم الأصفهاني ، أحمد بن عبد الله : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، (بيروت – 1988 م) ، ج 1 / 89 .

(4) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : امتاع الاسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والامتاع ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، (القاهرة – 1941 م) ، ج 1 / 16 .

(5) ابن هشام ، محمد عبد الملك : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا ، (بيروت – د . ت) ، ج 1 / 267 – 269 .

(6) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، (القاهرة – د . ت) ، ج 2 / 317 ؛ البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين : دلائل النبوة ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، (المدينة المنورة – 1969 م) ج 2 / ص 165 .

(7) المشهداني ، عدنان شعبان عبد فرحان : آل الزبير ودورهم في عصر صدر الاسلام والدولة الأموية ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 2006 م ، ص 32 .

بمكانة خاصة عند النبي محمد ﴿ﷺ﴾ ، فكان هو وعلي بن ابي طالب (﵁) أكرم الناس عليه (1) ، وقد توفي رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو عنهما راضٍ (2) .

4 – موقف الزبير من خلافة علي بن ابي طالب (رضي الله عنهما) :

مرت المدينة بعد مقتل عثمان (﵁) في ظروف صعبة حيث اضطربت اوضاعها وعمت الفوضى وسيطر الغوغاء على المدينة وفلت زمام الأمر من أيدي الصحابة ، فأخذ الناس يبحثون عن رجل يعيد زمام الامور الى نصابها فلم يجدوا ذلك الرجل ، لأن اغلب الصحابة كانوا قد زهدوا بالخلافة ونفروا منها لما اصاب الخلافة من تجاوز وعدوان ، وحتى الرجال الذين رشحهم عمر (﵁) فلم يبق منهم الا اربعة ذلك لأن عبد الرحمن بن عوف كان قد توفي سنة (32 هـ / 652 م) فلن يبقَ من الستة الا أربعة (3) ، وحتى هؤلاء الأربعة وهم سعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعلي بن ابي طالب (رضي الله عنهم) كانوا قد زهدوا فيها ولم يعودوا يرغبون بها فاحتار أهل المدينة فيمن يختارون خليفة ، وتصف رواية سيف بن عمر (*) الموقف : ((بقيت المدينة بعد مقتل عثمان (﵁) خمسة ايام وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالأمر فلا يجدونه ، يأتي المصريون علياً فيختبئ منهم ويلوذ بحيطان المدينة فاذا لقوه باعدهم وبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة ويطلب

---

(1) ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، مكتبة النهضة ، (القاهرة – د . ت) ، ج 2 / 514 .

(2) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري : المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، (القاهرة – 1969 م) ، ص 220 .

(3) ابن قتيبة : المعارف ، ص 236 .

(*) هو سيف بن عمر الاسدي ويقال التميمي البرجمي ويقال السعدي الكوفي ، اشتهر وتوفي في بغداد في خلافة الرشيد سنة (200 ه / 815 م) ويقال سنة (180 ه / 796 م) ، قال عنه الذهبي في كتاب ميزان الاعتدال (القاهرة – 1963 م) ، ج 2 / 255 ما يأتي : ((كان اخباري عارف في التأريخ روى عن جبارة بن المغلس وابي معمر القطيعي والنضر بن حماد العتكي وجماعة)) ، وقال عنه ابن حجر في كتابه تقريب التهذيب (المدينة المنورة – د . ت) ، ج 1 / 344 ما يأتي : ((سيف بن عمر التميمي صاحب كتاب الردة ويقال له العنبي ويقال غير ذلك الكوفي ، ضعيف في الحديث عمده في التأريخ)) .

الكوفيون الزبير فلا يجدونه فأرسلوا اليه حيث هو رسلاً فباعدهم وتبرأ من مقالتهم ويطلب البصريين طلحة فإذا لقيهم تبرأ من مقالتهم مرة بعد مرة)) (1) .

وبقيت المدينة خمسة ايام بعد مقتل عثمان (ﷺ) واهلها عاجزون عن العثور على رجل يمكن اقناعه بتولي منصب الخلافة ، وبقي المتمردون في حيرة من امرهم لا يدرون ماذا يفعلون فليس من حقهم تنصيب امام ولا بمقدورهم ان يجدوا رجلاً يرضى ان يصبح خليفة بعد مقتل عثمان (ﷺ) واخيرا اجتمع اهل المدينة فقال المتمردون من اهل مصر انتم اهل الشورى وانتم تعقدون الامامة وامركم جائز على الامة فانظروا رجلاً تعينونه ونحن لكم تبع فقال الجمهور من اهل المدينة على بن ابى طالب نحن به راضون (2) .

فقال لهم المتمردون : ((دونكم يا اهل المدينة فقد اجلناكم يومين فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا علياً وطلحة والزبير وأناسا كثيرا ... ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد)) (3) .

ويتبين لنا من هذا النص كيف ان اهل المدينة ومعهم طلحة وعلي والزبير (رضي الله عنهم) انهم جميعا رهن بأيدي المتمردين يفعلون بهم ما يشاءون ويوجهون بهم الى ما يشاءون من دون ان يكون لهم خيار في موافقة أو عصيان اي امر يوجهونه اليهم .

وعندما جاء اهل المدينة الى علي (ﷺ) وعرضوا عليه ما اتفق عليه أهل المدينة من ترشيحه خليفة للمسلمين رفض وقال لهم : ((لا تفعلوا فإني اكون وزيراً خيراً من أن اكون اميراً)) (4) وقالوا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال ففي المسجد فان بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون الا على رضا من الناس فكان اول من بايعه طلحة ثم بايعه الزبير فقال لهما : ((ان احببتما ان تبايعاني وان احببتما بايعتكما فقالا بل نبايعك))

---

(1) ابن عمر ، سيف : الفتنة ووقعة الجمل ، جمع وتصنيف أحمد راتب عمروش ، ط 3 ، (بيروت – 1980 م) ، ص 91 .

(2) ابن الاثير ، ابو الحسن عز الدين علي بن محمد الجزري : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، (بيروت – 1965 م) ، ج3 / 192 .

(3) ابن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص 93 .

(4) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 427 .

(1) ، وفي رواية اخرى ان علياً (﵁) قال لهم : ليس ذلك لكم انما ذلك لأهل بدر ليبايعوا فقال : ((اين طلحة والزبير وسعد ؟ فاقبلوا فبايعوا ثم بايعه المهاجرون والانصار ثم عامة الناس)) (2) .

ومن هاتين الروايتين الانفتي الذكر تبين لنا ان طلحة والزبير (رضي الله عنهما) بايعا علياً (﵁) عن رضا منهما وقناعة وانه هو الآخر بدوره كان قد عرض عليهما البيعة لكنهما رفضا ذلك وبايعاه ، فقد روى الطبري في رواية أخرى ما نصه : ((اما انا فأشهد اني سمعت محمد بن سيرين يقول : إن علياً جاء فقال لطلحة : ابسط يدك لابايعك ؟ فقال طلحة : انت احق وانت امير المؤمنين فابسط يدك فبسط لعلي يده فبايعه)) (3) .

ويذكر ابن قتيبة رواية في كتابه المنسوب إليه تؤكد ما ذكره الطبري من ان الزبير بايع علياً (﵁) عن قناعة وطيب خاطر حيث يقول : ((ثم قام الزبير فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان الله قد رضي لكم الشورى فاذهب بها الهدى وقد تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه)) (4) .

اما ابن سعد فيذكر اجتماع صحابة رسول الله ﴿ﷺ﴾ وخاصة منهم من له قدم صدق وسابقة في الدين ممن بقي من اصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ بالمدينة على بيعة علي (﵁) حيث قال : ((بويع لعلي بن ابي طالب (﵁) بالمدينة من يوم مقتل عثمان بالخلافة فبايعه طلحة والزبير ... وجميع من كان بالمدينة من اصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ وغيرهم)) (5) ، وهذه الرواية الوحيدة التي تذكر ان الصحابة بايعوا عليا (﵁) في اليوم التالي

---

(1) الطبري : المصدر نفسه ، ج 4 / 427 .

(2) ابن عبد ربه ، ابو عمر أحمد بن محمد : العقد الفريد ، تحقيق : أحمد أمين واحمد الزين وابراهيم الابياري ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة – 1962 م) ، ج 4 / 310 .

(3) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 434 .

(4) الامامة والسياسة ، مطبعة البابي الحلبي ، ط 3 ، (القاهرة – 1963 م) ، ج 1 / 46 .

(5) الطبقات الكبرى ، ج 3 / 31 .

من مقتل عثمان (ﷺ) فمن المعروف ان البيعة تمت بعد خمسة ايام من مقتل عثمان (ﷺ) وان ما يهمنا من ذكرها هو بيعة الزبير وطلحة وأغلب الصحابة لعلي (ﷺ) من دون اي معارضة أو اكراه .

وفي مقابل هذه الروايات التي تؤكد بيعة كل من طلحة والزبير لعلي بن ابي طالب (ﷺ) جميعا بالخلافة ، فقد اوردت بعض المصادر روايات تشير الى انهما كانا مترددين في البيعة لهم وانهما بايعاه مكرهين من قبل الخارجين على عثمان (ﷺ) فقد اورد الطبري رواية تقول : ((إن الناس بايعوا علياً (ﷺ) ، فأرسل الى الزبير وطلحة فدعاهما الى البيعة فتلكأ طلحة فقام اليه مالك بن الاشتر النخعي وسل سيفه وقال والله لتبايعن او لاجزن عنقك فقال طلحة واين المهرب فبايعه وبايعه كذلك الزبير والناس)) (1) .

والسؤال هنا لماذا تلكأ طلحة والزبير في بيعة علي (ﷺ) وان علياً له من القدرة والكفاءة والشجاعة ، وبعد النظر والصلابة في الحق ما لا ينكر ، وانه اقدمهم اسلاماً واوفرهم علماً وأقربهم نسباً (2) اليس هذا الرجل الذي تبحث عنه الامة ليخلصها من هذه الفوضى التي تشهدها المدينة من جراء أفعال الرعاع المتمردين على الخليفة والدولة ؟ ثم ماذا يهدف طلحة والزبير (رضي الله عنهما) من رفضهما البيعة لعلي (ﷺ) ، الم تعرض عليهما البيعة فرفضا ، اذاً ما الغاية من رفض البيعة ؟ الم يكن طلحة والزبير يرغبان في اصلاح الامة وارجاع الامور الى نصابها قبل مقتل عثمان (ﷺ) ، ثم اليس طلحة والزبير وعلي (رضي الله عنهم) من خيرة صحابة رسول الله (ﷺ) ومن العشرة المبشرين بالجنة ؟ فكيف تصدق مثل تلك الروايات المغرضة التي كتبتها ايدي لهم لها الا تشويه سيرة الصحابة والطعن بهم والدس عليهم ، ويبدو للباحث ان الروايات التي

---

(1) تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / ص 429 .

(2) الصلابي ، علي : اسمى الطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شخصيته وعصره ، (الاسكندرية – 2003 م) ، ص 219 .

تذهب الى أن طلحة والزبير قد بايعا علياً تحت ضغط الخارجين على عثمان قد جاءت لتبرير اسباب الخلاف الذي حصل بينهما وبين علي (﵁) بشأن معاقبة قتلة عثمان ووسائل اخراجهم من المدينة .

وفي الحقيقة ان هناك كثيراً من المعطيات تؤكد على تعاون طلحة والزبير مع علي (﵁) من اجل عودة الأمور في المدينة الى نصابها قبل مقتل عثمان (﵁) حيث تذكر المصادر التاريخية أن طلحة والزبير دخلا على علي (﵁) وعرضا عليه ان يقوم بمحاسبة قتلة عثمان (﵁) واقامة الحدود عليهم لكن علياً قال لهم : ((يا اخوتاه اني لست أجهل ما تعلمون ولكني كيف اصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ، ها هم قد ثارت معهم عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا فهل ترون موضعاً لقدرة على عمل شيء مما تريدون ؟ قالوا : لا ، فقال لهم : فوالله لا ارى الا رأياً ترونه ان شاء الله)) (1) .

وعندما لاحظ كل من طلحة والزبير ضعف موقف علي (﵁) من مسألة قتلة عثمان (﵁) عرضا عليه ان يذهب كل واحد منهما الى المصر الذي فيه مؤيدونهم وانصارهم لجلب الجنود والاعوان له لضرب هؤلاء المتمردين والقضاء عليهم ، فقد عرض طلحة عليه ان يذهب الى البصرة ويأتي بالرجال من هناك لسحقهم وكذلك عرض الزبير الذهاب الى الكوفة وجلب الانصار له ، والرجال الذين يؤيدونه لمساعدته في القضاء عليهم ، لكن علي (﵁) رفض ذلك وقال لهم : ((حتى انظر في ذلك)) (2) ذلك لأن علياً (﵁) كان يحاول تهدئه الامر ما استطاع بهدوء وتروي ، والحقيقة ان علياً (﵁) كان يرى ان التريث في هذا الامر اسلم من التسرع لأنها فتنة كالنار كلما اضرمتها ازدادت تأججاً وعندما ارسل علي (﵁) العمال الى الكوفة واليمن وبعض الاماكن الاخرى رجع عماله من بعض الاماكن مثل الكوفة التي طرد منها عامله عمارة بن

---

(1) ابن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص 97 ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 437 .

(2) ابن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص 98 .

شهاب (*) من قبل طلحة بن خويلد (**) ، واختلف الناس في بعض الاماكن على عمال علي (﵁) ، ففي مصر اختلف الناس على قيس بن سعد بين مؤيد لعلي (﵁) ومعارض له ومطالب بدم عثمان فهنا نلاحظ ان علياً (﵁) دعا كلاً من طلحة والزبير (رضي الله عنهما) وقال لهما : ((ان الذي كنت احذركم منه قد وقع ، وانها فتنة كالنار كلما سعرت ازدادت واستنارت واني سأمسك الأمر ما مستمسك فاذا لم اجد بُداً فآخرُ الدواء الكي)) (1) .

وهكذا نلاحظ ان تطور الاحداث التي اعقبت مبايعة علي بالخلافة واختلاف اجتهادات الصحابة بشأنها ، والذي قاد في النهاية الى مغادرة طلحة والزبير المدينة والذهاب الى مكة وما نشأ عن ذلك من احداث تقود الى المواجهة المسلحة في واقعة الجمل هو الذي أفسح المجال لظهور روايات تحاول التشكيك في صحة البيعة لعلي بن ابي طالب (﵁) بالخلافة .

وبعد ان رفض معاوية بن ابي سفيان الذي كان واليا على الشام مبايعة علي بن ابي طالب (﵁) بالخلافة وعصى امره بالتنحي عن ولاية الشام ، واخذ يتهم علياً بالمشاركة في مقتل عثمان (﵁) وجد الخليفة انه لابد من تجهيز حملة عسكرية للذهاب الى الشام والقضاء على معاوية ، غير ان تلك الحماسة التي ابداها علي (﵁) لمقاتلة اهل الشام

(*) عمارة بن شهاب : هو من المهاجرين الذين وقفوا مع الخليفة علي بن أبي طالب (﵁) ، استعمله علي واليا على الكوفة ، لكن أهل الكوفة رفضوه وتمسكوا بواليهم أبو موسى الأشعري ، ولم يقبلوا به واليا عليهم ، ورجع الى الخليفة علي (﵁) وأخبره الخبر ، للمزيد ينظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 443 ؛ ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، (بيروت - د . ت) ، ج 6 / 490 .

(**) طلحة بن خويلد بن نوفل بن نضله بن الأشتر بن حجوان بن فقحس بن ظريف الأسدي ، كان ممن شهد الأحزاب (الخندق) ثم قدم على رسول الله (ﷺ) سنة 9 ه فأسلم ثم ارتد وادعى النبوة في عهد ابي بكر الصديق (﵁) وكانت له مع المسلمين وقائع مشهورة ثن خذله الله فهرب حتى لحق بأعمال دمشق ونزل على آل جفنة ثم أسلم وقدم مكة معتمراً ثم خرج الى الشام مجاهداً وشهد اليرموك وبعض حروب الفرس ، توفي عام 21 ه في معركة نهاوند مع القائد النعمان بن مقرن وعمرو بن معد يكرب ، للمزيد ينظر : ابن عساكر ، علي بن الحسن : تاريخ دمشق الكبير ، تحقيق أبي عبدالله عبد الله علي بن عاشور الجنوبي ، (بيروت - 2001 م) ، مج 14 ، ج 27 / 106 – 122 .

(1) ابن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص 101 .

وعلى رأسهم معاوية لم تنل ارتياح اهل المدينة ولم تقابل بالحماسة من قبل معظم الصحابة واغلبية اهل المدينة (1) .

فقد ذكر ان طلحة والزبير استأذنا علياً (ﷺ) للذهاب الى مكة لقضاء العمرة فأذن لهما بالانصراف (2) وذهبا الى مكة وكانت عائشة (رضي الله عنها) قد خرجت الى مكة قبل مقتل عثمان (ﷺ) لقضاء العمرة فأخذ الهاربين يغدون على مكة فلقيتهم عائشة (رضي الله عنها) وهي في طريقها راجعة الى المدينة فاستفسرت منهم على الامور في المدينة فاخبروها بمقتل عثمان (ﷺ) وانتخاب علي بن ابي طالب (ﷺ) خليفة للمسلمين بعده ، والامر امر الغوغاء فقالت : ((ما اظن ذلك تاماً ردوني فانصرفت راجعة الى مكة)) (3) ووصل بعد فترة قصيرة طلحة والزبير الى مكة واخذ الهاربين الى المدينة يغدون على مكة واجتمع بنو امية الذين هربوا من المدينة الى مكة ووصل يعلي بن منبه والي اليمن من قبل عثمان (ﷺ) والذي عزله علي (ﷺ) عن عمله ، كما قدم عبد الله بن عامر والي البصرة المعزول من قبل علي (ﷺ) وشاءت الاقدار ان يجتمع في مكة الساخطون على خلافة علي (ﷺ) والساخطون على مقتل عثمان (ﷺ) من امراء الناس وعامتهم ، واخذت عائشة (رضي الله عنها) تخطب بالناس وتحثهم على معاقبة قتلة عثمان (ﷺ) وانهم سفكوا دمه الحرام في البلد الحرام من دون حجة لهم خاصة بعد ما حصلوا من عثمان (ﷺ) وعداً بالتراجع عن سياسته السابقة فلا عذر لهم ولا شيء يبرر هذا العمل العدواني الذي ارتكبوه بحق خليفة رسول الله (ﷺ) وامير المؤمنين (4) .

اما عن طلحة والزبير (رضي الله عنهما) فانهما خرجا من المدينة الى مكة ولم يَدُر في خلدهما ان يريا هذا السخط الواسع في مكة ضد مقتل عثمان (ﷺ) وما فعله

---

(1) المـــلاح ، هـــاشم يحيى : الوسيـــط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، (الموصل – 1991 م) ، ص 439 .

(2) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 445 .

(3) ابن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص 112 .

(4) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 449 .

الغوغاء من جريمة بحق خليفهم ، واخذت عائشة (رضي الله عنها) تندد بالقتلة والذين اطلق عليهم تسمية الغوغاء ، وان المدينة اصبحت في أيدي غوغاء الامصار وبيد نهابين وعبيد آبقين استباحوا دم عثمان (﵁) وانه قُتل مظلوماً فلابد من قتالهم وقصاصهم (1) .

اذا هذا هو الشعار الذي رفعته عائشة (رضي الله عنها) والذي كان يتفق مع رأي طلحة والزبير في ضرورة مقاتلة قتلة عثمان (﵁) واخراجهم من المدينة ، وقد سبق ان عرضا هذا الرأي على الخليفة علي بن ابي طالب (﵁) واستأذناه بالذهاب الى البصرة والكوفة لجلب مقاتلين معهما لهذا الغرض ، الا انه لم يأذن لهما بذلك خوفا من الفتنه ، فلا عجب ان يتجاوب طلحة والزبير مع هذا الشعار وينضما الى سائر الداعين الى معاقبة قتلة عثمان (﵁) من أمثال يعلي بن منبه وعبد الله بن عامر واغلب بني امية فهم لم يطالبوا بإشهار السيف بوجه علي (﵁) بل بوجه القتلة او الغوغاء الذين استباحوا المدينة واستباحوا حرمة الخليفة وقتلوه ظلماً فهذه هي الفكرة ، فكرة ان عثمان (﵁) قتل مظلوما فهي الفكرة التي ستكون ركيزة يرتكز عليها طلحة والزبير وعائشة (رضي الله عنهم) ومن اجلها خرجوا الى البصرة (2) اذا فهم لم يخرجوا ثائرين ضد علي (﵁) وانما ضد العابثين الذين عاثوا في المدينة فقتلوا الخليفة واستباحوا دمه واستباحوا حرمة مدينة رسول الله ﴿ﷺ﴾ وقال وصف هذا الوضع طلحة والزبير لعائشة عندما سألتهما ما ورائكما فقال : ((وراءنا إنا تحملنا بقليتنا هراباً من المدينة من غوغاء واعراب وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون انفسهم)) (3) .

---

(1) ابن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص 112 – 113 .

(2) هشام جعيط : الفتنة جدلية الدين والسياسة في الاسلام المبكر ، ط 4 ، (بيروت – 2000 م) ، ص 146 .

(3) ابن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص 113 .

فهذه الاسباب التي جمعت طلحة والزبير وعائشة (رضي الله عنهم) على التنديد بالقتلة الذين سيطروا على المدينة وهذا ما دفع الزبير وطلحة على الطلب من عائشة (رضي الله عنها) ان تقوم بتحريض الناس على قتلة عثمان وعلى رأسهم مالك بن الاشتر احد الذين ساهموا في قتل عثمان (﵁) حيث قالا لها : ((ان اطعتنا طلبنا بدم عثمان ، قالت : وممن تطلبون دمه ؟ قالا : انهم قوم معروفون وانهم بطانة (*) علي ورؤساء اصحابه)) (1) .

فهذا هو البرنامج الذي اتفق عليه كل من طلحة والزبير وعائشة (رضي الله عنهم) للخروج من اجله والمطالبة به (2) .

5 – دور الزبير (رضي الله عنه) في معركة الجمل :

بعد أن ثبت رأي كل من طلحة والزبير على الخروج نتيجة للدعم الذي وجدوه في مكة ورغبة اهلها في القصاص من القتلة الذين استباحوا حرمة الخلافة والمدينة معاً ، فلم يبق امامهم الا اختيار المكان الذي سوف يظهرون فيه ويعلنون عن مطالبهم الآنفة الذكر ، فاختلفوا في تحديد المكان الذي سيذهبون اليه ، فقسم اختار الذهاب الى الكوفة لكن البعض لم يوافق على هذا الرأي ، لأن الكوفة فيها ابو موسى الاشعري الذي رفض رفضا باتا الخوض في هذه الفتنة ونهى اهل الكوفة مراراً عن الخوض بها وبقي على موقفه هذا حتى بعد ان وصل كل من طلحة والزبير وعائشة (رضي الله عنهم) البصرة ، ووصول علي (﵁) خلفهم وطلب علي (﵁) منه ان يحث اهل الكوفة على اللحاق به ودعمه لكن ابا موسى رفض هذا الطلب رفضاً باتاً وحذر اهل الكوفة من الخوض في هذه الفتنة التي شبهها بالعمياء الصماء (3) .

(*) أمثال الأشتر النخعي والأشعث بن قيس وغيرهم من رؤساء القبائل الذين اندسوا في جيش علي .

(1) الدينوري ، ابو حنيفة : الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، مراجعة : جمال الدين الشيال ، (د . م – 1960 م) ، ص 146 .

(2) جعيط : الفتنة ، ص 146 .

(3) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 452 .

كما رأى البعض الذهاب الى المدينة لكن طلحة والزبير رفضا هذا العرض وقالا لهم إن بها علياً (رضي الله عنه) وانه سيحتج عليهم بالبيعة اولا وضرورة الطاعة ثانياً ، حيث ان علياً رفض استخدام القوة مع العابثين كما انهم ارادوا تجنب المدينة الدماء والمآسي مرة اخرى (1) وأخيراً ثبت رأيهم على البصرة حيث وعدهم واليها السابق عبد الله بن عامر بالرجال والاموال (2) .

وهنا لا بد من التأكيد على نقطه غاية في الأهمية وهي ان طلحة والزبير لم ينقضا بيعتهما لعلي (رضي الله عنه) كما صورت بعض المصادر ، خاصة عندما التقى علي (رضي الله عنه) بهما في البصرة وقال لهما : ((عرفتماني بالحجاز ، وانكرتماني في العراق)) (3) وما الى ذلك من روايات لا تثبت امام النقد التاريخي لها ، فطلحة والزبير حتى الساعات الأخيرة كانا لا يعترفان بعلي (رضي الله عنه) خليفة للمسلمين وان خروجهم عليه كان من اجل القصاص من القتلة الذين تغلغلوا في جيش علي (رضي الله عنه) ، ويذكر ابن قتيبة : ان مروان بن الحكم عرض على طلحة والزبير ان يقوما بترشيح احدهما للبيعة فاذا تمت البيع احتجا بها امام علي (رضي الله عنه) ببيعة كبيعته وان لم تتم هذه يرون عند ذلك رأيهم فقالا له : ((يمنعنا ان الناس بايعوا علياً بيعة عامة فبم ننقضها ؟ وقال الزبير : يمنعنا ايضا من ذلك تثاقلنا عن نصرة عثمان وخفتنا الى بيعة علي)) (4) .

فمن تلك الروايات يتضح انهما بقيا يعترفان بعلي (رضي الله عنه) خليفة للمسلمين وانهما في عنقهما بيعة له ولم ينكراها ، واخيرا بعدما رسا رأيهما على الذهاب الى البصرة قرروا ان يصحبا معهما عائشة (رضي الله عنها) للاستعانة بها امام الناس ولكي تخطب لهم

---

(1) جعيط : الفتنة ، ص 148 .

(2) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 452 ؛ المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، (بيروت – 1965 م) ، ج 2 / 357 .

(3) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 4 / ص 314 ؛ ابن ابي حديد ، عز الدين : شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، (القاهرة – 1959 م) ، ج 2 / ص 169 .

(4) الامامة والسياسة ، ج 1 / 59 .

وتوضح لهم ما سبب خروجهم اليهم والى ماذا يسعون حيث قالا لها : ((اشخصي معنا الى البصرة ... فتنهضيهم كما انهضت اهل مكة ثم تعقدين فان اصلح الأمر كان الذي تريدين والا احتسبنا ودفعنا عن هذا الامر بجهدنا حتى يقضي الله ما اراد)) (1) .

وروى الطبري انه اول من اجاب الى امر عائشة (رضي الله عنها) عبد الله بن عامر وبنو امية وكانوا قد سقطوا اليها بعد مقتل عثمان (ﷺ) ويعلي بن منبه واتفقوا على الخروج ، وكان ما يعلي ستمئة بعير وستمئة الف دينار فأناخ بالأبطح معسكراً بعد قدومه من اليمن ، ومن ثم قدم طلحة والزبير فشاهدا ما أتمر عليه القوم فاقنعاهم وايدوهم بوجهة نظرهم وايدوهم وبعد مناقشات بينهم ، رسا رأيهم على الذهاب الى البصرة (2) .

وفي الحقيقة ان وصول طلحة والزبير سرعان ما جعل الاحداث تتسارع وجعل خيوط العمل تتشابك على الفور ، حيث قرر الثلاثة ورهط اولئك الذين تبعوهم الانتقال الى البصرة ، لأن البصرة كانت تحتفظ بود معين تجاه عثمان (ﷺ) على الرغم من مبايعتها علياً (ﷺ) وان اهلها كانوا منقسمين على انفسهم في الرأي حول مقتل عثمان (ﷺ) (3) .

ولم تقدم لنا المصادر التاريخية معلومات تساعدنا على التعرف على خطة كل من عائشة (رضي الله عنها) وطلحة والزبير في كيفية الطلب بدم عثمان (ﷺ) من دون ان يمس ذلك بمقام الخليفة علي بن ابي طالب (ﷺ) ومكانته بصفته خليفة للمسلمين ، ويبدو من الجمع بين مختلف الروايات والمواقف ان الخطة كانت تتلخص بإقناع اهل البصرة والكوفة بالقدوم الى المدينة ومعاقبة قتلة عثمان (ﷺ) وطرد الخارجين عليه منها ، ثم تحرير الخليفة علي بن ابي طالب (ﷺ) من تسلطهم عليه واطلاق يده في ادارة شؤون المسلمين بطريقة سليمة (4) .

---

(1) ابن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص 114 .

(2) تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 425 .

(3) جعيط : الفتنة ، ص 148 .

(4) الملاح : الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ص 441 .

وحين جاءت الاخبار الى علي (﵁) من مكة عن اتفاق عائشة (رضي الله عنها) ومن حالفها من بني امية وبعض الولاة الذين عزلهم علي (﵁) امثال يعلي بن منبه والي اليمن وعبد الله بن عامر والي مكة الى الخروج والدعوة الى معاقبة قتلة عثمان والقصاص منهم نتيجة الاعمال التي قاموا بها والتي لا مبرر لها ضد عثمان (﵁) واهل المدينة ، قرر علي (﵁) الاسراع في الخروج لملاقاتهم او اللحاق بهم ومنعهم من الوصول الى البصرة لمعرفة حقيقة امرهم وماذا يهدفون من هذا الخروج ، ذلك لأن قادة ذلك التحرك لهم مكانة خاصة في نفوس المسلمين ولهم القدرة على التأثير عليهم وعلى مواقفهم في اي مكان يظهرون به ، فهم يشكلون خطرا اكبر من الخطر الذي يشكله معاوية ،لأن معاوية لم يكن يتمتع بتلك المواصفات التي تؤهله لمنافسة علي (﵁) ، اذا الخطر يكمن في هذا التحالف الذي نشأ في مكة والجزيرة الى مصر عرف عنه المشاكل واختلاف الرأي وهي البصرة التي كانت منقسمة على نفسها حول مقتل عثمان (﵁) والطريقة التي انتخب بها علي (﵁) على الرغم من تقديم اهلها ولائهم له ولا ننسى ان بعض المتمردين الذين جاءوا الى المدينة وساهموا في قتل عثمان (﵁) هم من اهل البصرة ، اذا فالأمر في غاية الخطورة فلا بد لعلي (﵁) ان يعجل في السير خلفهم واتخاذ الاجراءات اللازمة لإيقافهم ، فخرج علي (﵁) خلفهم الى منطقه الربذة (*) الا انه لم يجدهم حيث وصل علي (﵁) بقواته بعد رحيلهم عنها (1) .

وقد صرح علي (﵁) امام الناس عن اهدافه من الخروج الى البصرة حيث قال : ((اما الذي نريد وننوي فالإصلاح ، ان قبلوا منا واجابونا اليه ، قال : فان لم يجيبوا اليه ؟ قال ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصرة ، قال : فإن لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فإن لم يتركونا ؟ قال : امتنع عنهم)) (2) .

(*) الربذة : من قرى المدينة على بعد ثلاثة أيام من ذات عرق على طريق الحجاز ، للمزيد ينظر : الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ، (بيروت – 1957 م) ، ج 3 / 24 .

(1) ابن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص 119 .

(2) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 479 .

فهذه نوايا الطرفين الذين خرجا الى البصرة فطلحة والزبير كان هدفهما محاسبة قتلة عثمان (ﷺ) وعلي (ﷺ) قال لم اخرج لقتالهم بل لنعرف ما حقيقة خروجهم وانه سيحرص بكل ما استطاع من قوة على عدم انشاب القتال معهم .

وفي رواية اخرى قال علي (ﷺ) في ذي قار عندما التقى باهل الكوفة الذين جاءوا للالتحاق به بعدما ارسل اليهم ابنه الحسن بن علي وعمار بن ياسر لاستنهاضهم والقتال معه حيث قال : ((يا اهل الكوفة ... وقد دعوتكم لتشهدوا معنا اخواننا من اهل البصرة فإن يرجعوا فداك ما نريد وان يلجوا داويناهم بالرفق ... ولن ندع امرا فيه صلاح الا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله)) (1) هذا هو موقف علي (ﷺ) من طلحة والزبير .

وعندما وصل طلحة والزبير وعائشة (رضي الله عنهم) البصرة لم يكن اهل البصرة على رأي واحد وعندما خطب طلحة والزبير وعائشة (رضي الله عنهم) فيهم وبينوا لهم الهدف من مجيئهم اليهم بعدما كشفوا لهم ما فعل الغوغاء في المدينة وما بينوا فعلهم معهم انقسم اهل البصرة بين مؤيد لهم وقائل صدقوا ، وبين معارض لهم وقائل عنهم كذبوا والله ما نعرف ما يقولون (2) وقد حاول والي البصرة عثمان بن حنيف ان يصدهم عن الدخول الى البصرة لكنه فوجئ بوجود مؤيدين لهم كثر في داخل البصرة ، حيث تصدوا له عندما خطبهم وحذرهم من السماح لهم في الدخول الى مصرهم ، ثم افترق الناس ، فرقة مع عثمان بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير وعائشة (رضي الله عنهم) (3) واخيرا اتفقوا على الصلح حيثما يصل علي (ﷺ) البصرة ومعرفة الامور على حقيقتها منه (4) وكان الوالي عثمان حنيف والي البصرة اراد من هذه الهدنة كسب الوقت منتظراً ظهور علي (ﷺ) الذي ربما كان بإمكانه انقاذ الموقف ،

---

(1) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 487 .

(2) ابن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص 134 .

(3) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج 1 / 68 – 69 .

(4) البلاذري : أنساب الأشراف ، ق 1 ، ج 2 / 227 .

خاصة وان عثمان بن حنيف لم يكن لديه قوة من الجند تمكنه من الوقوف امام طلحة والزبير ومن انضم اليهم من اهل البصرة (1) .

ومهما يكن من امر فان الفتن سرعان ما وقعت لأن عثمان بن حنيف تأخر كثيرا عن امامة المسلمين في صلاة العشاء وكانوا يؤخرونها فقام أصحاب طلحة والزبير فقدموا عبد الرحمن بن عتاب الى الصلاة فشهر اصحاب عثمان بن حنيف السلاح فقاتلوا وقام اصحاب طلحة والزبير بالدخول على عثمان بن حنيف فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا شعر لحيته وحبسوه ثم امرت عائشة (رضي الله عنها) ان يذهب حيث يشاء فترك البصرة وذهب الى علي (ﷺ) (2) .

واصبح حكيم بن جبلة احد قتلة عثمان (ﷺ) ومن تبعه يريدون الحرب ، وكان اتباعه ممن شاركوا في مقتل عثمان (ﷺ) علموا انهم مقتولون اذا قعدوا ولم يفعلوا شيئا فلما نشبت الحرب ، نادى منادي عائشة (رضي الله عنها) من لم يكن من قتلة عثمان فليكُف عنا فانا لا نريد الا قتلة عثمان ولا نريد احدا (3) .

واقتتل الفريقان اشد القتال الى ان انهزم حرقوص بن زهير في نفر ممن بقي فلجأوا الى قبائلهم ، فنادى منادي طلحة والزبير الا من كان بينهم من قبائلهم احد ممن غزا المدينة فليأتنا به فجاءوا ببعضهم يسوقونهم كما تساق الكلاب فقتلوا ولم ينجُ احد ممن غزا المدينة من اهل البصرة سوى حرقوص بن زهير السعدي الذي اجاره قومه واعطوه اجلا فيه (4) ، وبعد ان فرغ طلحة والزبير من قتال المتمردين الذين ساهموا في قتل عثمان (ﷺ) في البصرة كتبوا كتاباً الى اهل الكوفة والشام اوضحوا فيه كل ما فعلوه في البصرة وما واجههم حتى افاء الله لهم

---

(1) جعيط : الفتنة ، ص 152 .

(2) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / ص 469 .

(3) ابن عمر : الفتنة ووقعة الجمل ، ص 130 .

(4) ابن عمر : المصدر نفسه ، ص 132 .

بالنصر ، وقد حدثت تلك الوقعة لخمس ليال يقعن من ربيع الاخرة سنة (36 هـ / 656 م) (1) .

وحين وصل الخليفة علي بن ابي طالب (ﷺ) الى البصرة كان حريصاً على حل الخلافات مع طلحة والزبير وام المؤمنين بصورة سلمية ، ان الترجمة العلمية لهذا التوجه كان يتطلب ان يبقى الخليفة علي (ﷺ) في المدينة ويسعى الى حل الخلافات مع خصومه عن طريق المفاوضات ، اما وقد خرج الجيشان المتخاصمان يتقابلان وجهاً لوجه في ساحة المعركة فقد غدا من الصعب جدا السيطرة على الموقف وتغليب الحكمة وروح الاصلاح على حسم الخلاف عن طريق القتال (2) .

وقد أورد الطبري روايات عدة مستفيضة على مفاوضات جرت بين علي (ﷺ) وأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) وطلحة والزبير حتى كادوا يتوصلون الى اتفاق نهائي على حل الخلاف بينهم ومن هذه الروايات : وساطة القعقاع بن عمرو التميمي الذي ارسله علي (ﷺ) الى عائشة ليستفسر منها ما تريد وليدعوها الى الالفة والجماعة ((فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها وقال لها اي امه ما اشخصك وما اقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أي بني الاصلاح بين الناس ، قال : فابعثي الى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت اليهما فجاءا فقال لهما ما قال لعائشة رضي الله عنها قال فما تقولان أنتما ؟ امتبعان أم مخالفان ؟ فقال لهما فما وجه الاصلاح عندكما فان عرفناه انصلحنا ولئن انكرناه لا نصلح ، قالا : قتلة عثمان فان هذا ان ترك كان تركاً للقرآن ، وان عُمل به كان احياء للقرآن ، فقال لهم القعقاع : انكم قتلتم ستمئة رجل الا رجلاً فغضب لهم ستة الاف واعتزلوكم وخرجوا بين اظهركم ، وأنا ارى ان هذا الامر دواؤه التسكين فاذا سكن الامر اختلجوا ، وان انتم ابيتم الا مكابرة هذا الامر كانت علامة شر فاقروا العافية يرزقونها وكونوا مفاتيح

---

(1) ابن خياط ، خليفة العصفري : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، (النجف – 1967 م) ، ج 1 / ص 165 .

(2) الملاح : الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ص 444 .

خير كما كنتم دائما ولا تعرضونا للبلاء فيصرعنا واياكم ، فقالوا نعم قد احسنت المقال فارجع فإن قدم علي مثل رأيك اصطلح الامر)) (1) .

فلما نزل الناس بعد وصول علي (﵁) البصرة واطمأنوا خرج علي وخرج طلحة والزبير فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا امرا هو امثل من الصلح ونبذ الحرب حين رأوا الامر قد اخذت الانقشاع (2) ولم يشكوا في الصلح ابدا ، فأرسل طلحة والزبير الى رؤساء اصحابهما وارسل علي رؤساء اصحابه ما خلا أولئك الذين حصروا عثمان فباتوا على الصلح وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي اشرفوا عليه (3) وبات الذين اثاروا امر عثمان بشر ليلة باتوها وقد اشرفوا على الهلكة فتشاوروا وبينهم على اشعال الحرب بين الطرفين فأتمروا أمرهم وانسلوا في الليل ولم يرهم احد فعادوا على كلا الجيشين فطعن لكل من الجيشين جيش علي (﵁) وجيش الزبير وطلحة (رضي الله عنهما) ان كل واحد منهما قد غدر وانه لم يرضى بالصلح ولا يرغب فيه وهكذا قوض الصلح بينهما بعد ان كاد يتحقق لولا قيام هؤلاء الغوغاء بتقويضه واشعال الفتنة بين الطرفين (4) .

وهكذا اشتعلت الحرب بين الطرفين بعد ان ثبت جليا ان كلا الطرفين كانا لا يرغبان بها وسعى كل منهما لاجتنابها لكن الغوغاء ابوا الا اشعالها ذلك لأنهم كانوا على يقين من ان السلم والصلح بين الطرفين يعني مقتلهم وقصاصهم على ما فعلوه من اثم وعدوان بحق عثمان (﵁) وما ترتب على ذلك من فتن واضطرابات تعرضت لها الامة على ايديهم .

وقد ذكرت بعض المصادر ان علياً (﵁) اختلى بالزبير مذكراً له حديث قاله رسول الله ﴿ﷺ﴾ وخلاصة هذه الرواية حسب ما ذكرتها بعض المصادر التاريخية ان الرسول الله ﴿ﷺ﴾ لقي علي بن ابي طالب (﵁) راجعاً من المهمة التي كلفه بها رسول الله ﴿ﷺ﴾ فضحك معه رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال الزبير للرسول ﴿ﷺ﴾ ما يدع ابن ابي طالب زهوه فقال له رسول الله ﴿ﷺ﴾ انه ليس به زهو اتحبه يا زبير ؟ فقال الزبير كيف لا احبه فهو ابن خالي وأخي في الاسلام فقال

---

(1) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 488 – 489 .

(2) الطبري : المصدر نفسه ، ج 4 / 506 .

(3) الطبري : المصدر نفسه ، ج 4 / 506 .

(4) الطبري : المصدر نفسه ، ج 4 506 – 507 .

له رسول الله (ﷺ) : ((اما انك ستقاتله وأنت له ظالم)) (1) فلما سمعها الزبير فقال : نعم ، فقال له علي (ؑ) : فعلام تقاتلني ؟ فقال الزبير نسيتها والله لو ذكرتها ما خرجت اليك ولا قاتلتك (2) .

وفي الحقيقة ان هذه الرواية لا يمكن تصديقها ولا الأخذ بها فليس من المعقول ان رسول الله (ﷺ) يذكر للزبير بأمر مثل هذا وينساه ، كما انها تتنافى مع قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ ﴾ (3) ، وقد اخرج الحاكم هذا الحديث عن طريق ابن حرب بن الأسود الديلي قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول تقاتله وانت له ظالم فقال لم اذكر ثم مضى الزبير منصرفا (4) .

ويقول الذهبي عن هذا الحديث : ((ان الذي رواه عبد الله بن محمد بن عبد الملك الرقاشي عن جده ابن جرو المازني قال : شهدت علي والزبير توافقا فقال علي للزبير : انشدك الله اما سمعت رسول الله يقول تقاتله وله انت ظالم ، يقول عن راوي هذا الحديث : انه وجده من ذوي الاحاديث الضعيفة)) (5) وذكره الحافظ ونسبه الى ابن يعلى (6) .

فنلاحظ من خلال الاطلاع على هذه المصادر الآنفة الذكر ان الذين ذكروا الحديث هم من الرواة الضعفاء ، ويبدو ان هذا الحديث وضع من قبل محبي علي (ؑ) ليضيفوا الى احداث معركة الجمل حالة من القدسية خصوصا لعلي (ؑ) والحط من شأن الزبير ومكانته من جهة اخرى على اعتبار ان الرسول (ﷺ) انبأهم بما سيحدث بينهم ... .

---

(1) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج 1 / 72 ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج 2 / 363 .

(2) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج 2 / 515 ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام (عهد الخلفاء الراشدين) ، (بيروت – 1987 م) ، ص 488 .

(3) سورة الأعراف ، الآية : 188 .

(4) ابن عبدالله ، محمد : المستدرك على الصحيحين ، ط 2 ، (بيروت – 2001 م) ، ج 3 / 366 .

(5) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد : سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون ، ج 3 ، (بيروت – د . ت) ، ج 1 / 59 .

(6) المطالب العالية ، رقم الحديث ، 4476 .

ومهما يكن من امر فان الحرب بينهما قد وقعت فقتل المسلم اخاه المسلم وقد سميت هذه المعركة بوقعة الجمل لأن رحى المعركة دارت حول خطام الجمل الذي كانت تركبه عائشة (رضي الله عنها) في هودجها المغطى بالحديد والجلود (1) وقد قتل في هذه المعركة اعداد كبيرة من مقاتلي الطرفين وكان ممن قتل في هذه المعركة قادة جيش عائشة (رضي الله عنها) طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام (رضي الله عنهما) حيث قتل طلحة في المعركة في حين قتل الزبير في طريق عودته الى المدينة في منطقة البصرة .

وقد بالغت المصادر كثيرا في عدد من قتل في هذه المعركة فالمسعودي يذكر : ((ان قتلى اصحاب الجمل من اهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر الفاً وقتل من اصحاب علي خمسة الاف)) (2) ، وقد علق المسعودي نفسه على هذه الاعداد بقوله : ((وقد تنازع الناس في مقدار من قتل من الفريقين ، فمن مقلل ومكثر ، فالمقلل يقول : قل منهم سبعة الاف ، والمكثر يقول عشرة الاف ... على حسب ميول الناس واهواء كل لفريق)) (3) .

والحقيقة ان التقديرات الآنفة الذكر عن عدد القتلى قد تزيد على عدد الرجال الذين شاركوا في معركة الجمل وان المرء ليحتار كيف يوفق بين هذه التقديرات ، وبين القائمة التي اوردها خليفة بن خياط بأسماء قتلى معركة الجمل (4) التي تضمنت حوالي الخمسين اسماً فضلا عن ستين شخصا اخرين نسبهم الى قومهم ومن غير ان يذكر اسمائهم (5) .

ان ما تقدم يدل على ان عدد القتلى في هذه المعركة كان لا يتجاوز المئات على ابعد تقدير ، غير ان ميول الناس وأهوائهم قد ضخمت الاعداد فجعلت من المئات الافاً ، وربما كان ذلك تعبيراً عن احساسهم بعظمة المصيبة التي اصابت المسلمين في هذه المعركة الاليمة (6) .

---

(1) ابن خياط : تاريخ خليفة ، ج 1 / 172 – 173 .

(2) مروج الذهب ، ج 2 / 351 .

(3) المصدر نفسه ، ج 2 / 351 ، وينظر : ابن خياط : تاريخ خليفة ، ج 1 / 167 ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 539 .

(4) الملاح : الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ص 445 .

(5) تاريخ خليفة ، ج 1 / 167 – 172 .

(6) الملاح : الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ص 445 .

ومهما يكن الامر فقد انتهت هذه المعركة بانتصار علي بن ابي طالب (عليه السلام) وانهزام جيش طلحة والزبير (رضي الله عنهما) وفرض سلطته على الكوفة والبصرة ، اما الشام فقد بقيت خارج سيطرته وذلك بسبب تعنت معاوية بمواقفه التي اعلن عنها وهي عدم اعترافه بعلي (عليه السلام) خليفة للمسلمين ، اما عن موقف علي (عليه السلام) من جيش طلحة والزبير فقد اطلق علي (عليه السلام) عفواً عاماً على الجميع واسعف الجرحى ونهى جنده عن الإساءة لهم ، وجمع القتلى وصلى عليهم وأمر بدفنهم وترحم على ارواحهم (1) وأمر ان لا تؤخذ اموالهم غنيمة فاعترض قومه عليه قائلين كيف : ((يحل نادي دماؤهم ويحرم علينا اموالهم ؟ فقال علي : القوم امثالكم ، من صفح عنا فهو منا ونحن منه)) (2) .

وفي رواية اخرى قام رجل وقال : ((يا امير المؤمنين كيف تحل لنا اموالهم ولا تحل لنا نساؤهم ولا ابناؤهم ، فقال علي (عليه السلام) : لا يحل لكم ذلك ، فلما أكثروا عليه ، قال : اقترعوا هاتوا سهامكم ، ثم قال : أيكم يأخذ أمكم عائشة في سهمه ، فقالوا : استغفر الله ، فقال : استغفر الله)) (3) ، ويبدو أن علياً (عليه السلام) استند الى قول الرسول (ﷺ) في خطبة الوداع حين قال : ((الا ان اموالكم ودماءكم واعراضكم عليكم حرام كحُرمةِ يومكم هذا وشهركم هذا ...)) (4) .

وقد خص الخليفة علي بن ابي طالب (عليه السلام) ام المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بمعاملة خاصة ورعاية متميزة إكراماً لمكانتها من رسول الله (ﷺ) والمسلمين (5) فأمرها بالتجهز الى المدينة وأرسل معها من يرافقها ويعتني برفقتها حتى تصل الى بيتها في المدينة وهي معززة مكرمة (6) ، وقد ذكرت بعض المصادر ان علياً ارسل معها سبعين امرأة من عبد القيس في

---

(1) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 538 .

(2) الطبري : المصدر نفسه ، ج 4 / 541 .

(3) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج 1 / 78 .

(4) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج 4 / 250 .

(5) الملاح : الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ص 445 .

(6) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 544 .

ثياب الرجال حتى وافوا بها الى المدينة ، ولم تعلم عائشة (رضي الله عنها) بأمرهن حتى وصلت المدينة (1) .

6 – مقتل الزبير بن العوام (رضي الله عنه) :

اختلفت الروايات التاريخية في عرض الطريقة التي قتل بها الزبير ، فالطبري يذكر : ((انه لم انهزم الناس يوم الجمل عن طلحة والزبير ومضى الزبير حتى مر بمعسكر الاحنف فلما رآه واخبر به قال : والله ما هذا بخيار ، وقال للناس : من يأتينا بخبره ؟ فقال عمير بن جرموز لأصحابه : انا ، فاتبعه فلما لحق به نظر اليه الزبير وكان شديد الغضب ، وقال : ما وراءك ؟ قال : انما اردت ان اسألك ، فقال غلام الزبير : انه معد ، فقال : ما يهولك من رجل ، فحضرت الصلاة فنزلا واستدبره ابن جرموز فطعنه من خلفه في جريان درعه فقتله واخذ فرسه وخاتمه وسلاحه ، واخلى عن الغلام فدفنه في وادي السباع)) (2) .

بينما يذكر ابن عبد ربه هذه الرواية : ((ان الزبير لما انحاز يوم الجمل مر بماء لبني تميم فقيل للأحنف بن قيس هذا الزبير قد اقبل قال : وما اصنع به جمع بين هذين الغزين وترك الناس وفي مجلسه عمير بن قيس بن جرموز المجاشعي فلما سمع كلامه قام من مجلسه واتبعه حتى وجده بوادي السباع نائماً فقتله واقبل برأسه الى علي فقال له علي ابشر بالنار اني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول بشر قاتل الزبير بالنار)) (3) .

وقد وردت عدة روايات اخرى عن كيفية قتل عمير بن جرموز للزبير غلب عليها طابع الخيال ولا يمكن الركون الى صحتها (4) ويبدو ان الروايتين الآنفتي الذكر هي اقرب الروايات الى التصديق ، واننا بدورنا نرجح الرواية الاولى ، ذلك ان عميراً ما كان يجرؤ على قتل الزبير الا

---

(1) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب : تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، (بيروت – د . ت) ، ج 2 / 183 .

(2) تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 / 534 .

(3) العقد الفريد : ج 4 / 323 .

(4) عن هذه الروايات ينظر : ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج 1 / 74 ؛ ابو العرب ، محمد بن احمد بن تميم : كتاب المحن ، تحقيق : يحيى وهيب الجبوري ، (بيروت – 1988 م) ، ص 103 ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج 2 / 516 .

بهذه الطريقة ، حيث انشغال الزبير في اداء الصلاة فطعنه من خلفه بعد ان استأمن الزبير من انه متجه معه الى المدينة ، فلم يأبه له وقلل من شأنه على الرغم من تحذير غلامه له .

وكان مقتل الزبير سنة ست وثلاثين للهجرة (1) وقد اختلف في سِنه حين قتل فرواية تذكر ان عمره اربع وستون سنة حين قتل (2) ورواية اخرى تذكر انه قتل وعمره سبع وستون (3) .

References

-Abu Abdullah Musab Bin Abdullah Al-Zubairi: Lineage of Quraish, Egypt - 1976, 235.

- Abu Al-Faraj Abd Al-Rahman Abu Al-Jawzi: The Elite Of The Elite, Hyderabad Press, Deccan - 1968, 134.

-Abu Al-Hasan Izz Al-Din Ali Bin Muhammad Al-Jazari: The Complete History, Dar Sader, Dar Beirut for Printing and Publishing, Beirut - 1965, 192.

-Abu Al-Hasan Izz al-Din Ali Ibn Muhammad Al-Jazari: The Lion Of The Forest In Knowing The Companions, Dar Kitab al-Shaab, Cairo - 1965, 252

-Abu Al-Qasim Suleiman Bin Muhammad Al-Tabarani: The Great Dictionary, Mosul - 1989, 121.

-Abu Amr Khalifa Ibn Khayyat: Al-Tabaqat, Damascus - 1966, 300.

---

(1) البسوي ، ابو يوسف يعقوب بن سفيان : المعرفة والتأريخ ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، مطبعة الرشاد ، (بغداد – 1975 م) ، ج 5 / 83 ؛ ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن : صفوة الصفوة ، مطبعة حيدر آباد ، (الدكن – 1968 م) ، ج 1 / 134 .

(2) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج 3 / 113 ؛ الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن محمد : المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد سلفي ، ط 2 ، (موصل – 1989 م) ، ج 1 / 121 ؛ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الارب في فنون الأدب ، تحقيق : محمد رفعت فتح الله ، مراجعة : ابراهيم مصطفى ، (القاهرة – 1975 م) ، 20 / 95 .

(3) ابن الأثير ، ابو الحسن عز الدين علي بن محمد الجزري : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : محمد ابراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ، دار كتاب الشعب ، (القاهرة – 1965 م) ، مج 2 / 252 ؛ المحب الطبري ، ابو جعفر أحمد : الرياض النضرة في مناقب العشرة ، (د . م – 1983 م) ، ج 2 / 367 .

-Abu Bakr Ahmad Bin Al-Hussein Al-Bayhaqi: Proofs of Prophethood, Al-Madinah Al-Munawwarah, 165, 1960.

-Abu Jaafar Muhammad Bin Jarir al-Tabari: History Of The Messengers And Kings, Dar al-Ma'arif, Cairo, 1930, 317.

-Abu Jaafar Muhammad Ibn Habib: Al-Muhbar, Beirut, 1956, 180.

-Abu Muhammad Abdullah Bin Muslim Al-Dinouri: Al-Ma'arif, Cairo - 1969, 220.

-Abu Omar Ahmed Bin Muhammad Bin Abd Rabbo: The Unique Contract, Al-Nahdha Al-Masrya Library, Cairo - 1962, 310.

-Abu Yusef Yaqoub Bin Sufyan Al-Basawi: Knowledge And History, Al-Rashad Press, Baghdad - 83, 1975.

-Adnan Shaaban Abd Farhan Al-Mashhadani: Al-Zubayr family And Their Role In The Era Of Early Islam And The Umayyad state, PhD thesis (unpublished), College of Arts, University of Mosul, 2006, 32.

-Ahmed Bin Abdullah Abu Naim Al-Isfahani: The Ornament of the Patrons And The Layers Of The Pure, Beirut, 1988, 89.

- Ali Al-Sallabi: The Name Of Students in The Biography Of The Commander Of The Faithful, Ali bin Abi Talib, His Personality and His Era, Alexandria - 219 2003.

- Hashim Yahya Al-Mallah: The Mediator In The Prophet's Biography And The Rightly Guided Caliphate, Mosul - 1991, 439.

-Hisham Jaait: Sedition, The Dialectic Of Religion And Politics In Early Islam, Beirut - 2000, 146.

- Ibn Abd al-Barr: Absorption In Knowing The Companions, 1910, 515.

-Izz al-Din Ibn Abi Hadid: Explanation Of Nahj al-Balaghah, Issa Al-Babi al-Halabi Press, Cairo - 169, 1959.

-Khalifa Al-Asfari Ibn Khayyat: History Of Khalifa Ibn Khayyat, Najaf - 1967, 165.

− Muhammad Bin Ahmad Bin Tamim Abu Al-Arab: The Book of Tribulations, Beirut - 1988, 103.

−Muhammad Ibn Abdullah: Al-Mustadrak On The Two Sahihs, Beirut - 2001, 366.

- Saif Ibn Omar: Sedition And The Battle Of The Camel, Beirut - 1980, 91.

- Shams al-Din Muhammad Ibn Ahmad al-Dhahabi: History Of Islam And The Death Of Famous People And Figures During The Era Of The Rightly Guided Caliphs, Beirut - 1987, 488.
- Taqi al-Din Ahmad Ibn Ali Al-Maqrizi: The enjoyment Of Listening to What The Messenger Has Of Children, Money, Grandchildren, And Enjoyment, Cairo - 1941, 360.
- Yusif Bin Abdullah Bin Abd Al-Barr: Absorption In Knowing The Companions, Al-Nahdha Bookshop, Cairo, 1945, 514.
-Muhammad Abd Al-Malik Ibn Hisham: Biography Of The Prophet, Beirut, 1890, 269.
Shihab Al-Din Ahmad Ibn Abd Al-Wahhab Al-Nuwairi: The End Of The Lord In the Arts of Literature, Cairo - 1975, 95.

The position of Al-Zubair bin Al-Awam towards the succession of Ali bin Abi Talib)May God be pleased with them both(

Adnan Shaaban Abd*

Abstract

The early period of Islam is Considered an important ages in Arab – Islamic history , be Cause of its military and civilizational that have been reflected on the reality of the nation , so it got it in to political differences where it reached it peak in the Caliphate Othman (God may please him) , and extended to include the Caliphate Ali bin Abi Talib (Cod may please him) , where AL – Zubair had a clear role in the re vents he indulged in . The re search Came to give glimpse of AL-Zubair's role in these events , That the nation has gone through and we started at giving a profile

---

*** Lect./ History Department / College of Arts / University of Mosul**

of his character and the he drifted in to troubles faced by the Caliph Ali bin Abi Talib (God may please him) , The most prominent of which is the Famous battle of AL – Jamal (Camel) , which claimed the life of AL – Zubair bin – AL – Awam .

Key words : Speech, fight, wars .